ملخص للفكر الفلسفي

الفلسفة: كلمة يونانية الأصل دخلت العربية في عصر الترجمة ومعناها في أصلها (محبة الحكمة) ثم صارت اسم للعلم المعروف ، وقد استخدمتها العرب مع كلمة أخرى عربية الأصل هي الحكمة .

هناك طائفة من الباحثين يفضلون ألا يقدموا للفلسفة تعريفا معينا وربما قرر بعضهم أن الحصول على تعريف فني لها في بداية دراستها أمر متعذر ولموقفهم هذا أسباب منهجية عامة وأسباب خاصة ترجع إلى طبيعة الفلسفة نفسها ومن تلك الأسباب :

١-أن التعريف الحقيقي لأي علم لا يكون إلا بعد الإلمام بمسائله ومباحثه وكل تعريف يذكر في مقدمه أي علم لا يعدو أن يكون رسما أو إيضاحا عاما لمعناه أو تعريفا مؤقتا به وليس حدا أو تعريفا حقيقيا

٢ . أنه بالنسبة للفلسفة بخاصة فإن غموض معناها وتطوره من عصر إلى عصر يجعل من الصعب الاتفاق على تعريف محدد لمعناها الاصطلاحي

الفرق بين الفلسفة الشخصية والاصطلاحية :

١-**الشمول الكلي**: الفلسفة الفردية عادة جزئية بحكم أنها نبعت أصلا من تجربة شخصية محدودة ، أما الفلسفة بمعناها العلمي فإنها كلية بطبيعتها .

٢-**الوضوح العقلي**: الفلسفة الفردية غالبا ما توجد في حالة ضمنية غير واعية ولا تقوم على يقين عقلي

أما الفلسفة العلمية فهي عقلانية واضحة

٣-**التسامح الفكري** : الفلسفة الشخصية تتسم عادة بضيق الأفق والانحصار في الذات ولكن الفلسفة الفنية المتخصصة تمتاز بسعة الأفق والفيلسوف المنهجي المدرب

٤-**الصياغة الفنية الاصطلاحية** : الفلسفة الشخصية تصاغ عادة في لغة بسيطة ساذجة إن لم يعجز صاحبها تماما عن عرضها أما الفلسفة المنهجية فإنها تصاغ عادة في لغة فنية واضحة تزخر بالمصطلحات والعبارات الدقيقة

اتجاهات الفلسفة:

١-**الاتجاه التساؤلي** : ويفهم أصحابه الفلسفة على نحو عام بالغ العموم إذ هي عندهم إثارة الأسئلة وبث روح التعجب والدهشة التي تدفع إلى التفكر والبحث حوار مع الذات او مع الآخرين حول حقائق الحياة والوجود

٢-**الاتجاه التقليدي** : ولكن هناك اتجاه غلب على الفلسفة والفلاسفة من قديم ولازال له أنصار بين المعاصرين برغم ما تعرض له من نقد في القرون الأخيرة وهو الاتجاه الذي يعني بالبحث العقلي عن طبائع الأشياء وحقائق الوجود وقد لا يدفعه سوى حب المعرفة ولذة الكشف عن الحقيقة

ومن الواضح أن هذا الاتجاه :

أ-يعمد إلى بناء تصور شامل للكون والحياة والإنسان

ب-أنه يتخذ العقل أداة أساسية لبناء هذا التصور

ت-وأن الميتافيزيقا (الغيب) تحتل مكانا أصيلا في هذا البناء الشامل

ث-وأن الباعث الأساسي له على ذلك هو لذة المعرفة والتطلع والإدراك لحقيقة الوجود ولمعنى التجربة الإنسانية ولكنه لا يهمل البواعث العملية تماما

٣-**الاتجاه الوضعي** : لا يعترفون إلا بالواقع المحسوس الخاضع للملاحظة والتجربة ويعتبرون كل قضية لا تدل على شئ يمكن إدراكه بالحس وإخضاعه للتجربة قضية غير ذات موضوع

٤-**الاتجاه العملي** : و يشمل موقفين

أ-**الموقف البراجماتي** : الذي يقوم أساسا على أن العقل موجه بفطرته إلى العمل دون النظر وأن الفكر مجال أو أداة للعمل المنتج لا للتجريد المبهم وهم بالتالي ينفرون من كل نظر عقلي مجرد يدعي كشف الحقيقة ويقتصر على مجرد المعرفة ويعتقدون مع جون ديوي ١٩٥٢م أن الأفكار لا قيمة لها إلا متى تحولت إلى أفعال تؤدي إلى إعادة تنظيم العالم الذي نعيش فيه وتسلم إلى إعادة بنائه بطريقة ما فمحك الفكرة هو التجربة ومن الخطأ أن يقال إن الأفكار تعكس الحقيقة الموضوعية وأن مقياس صوابها هو في مطابقتها لتلك الحقيقة التي تعكسها بل هو يكمن في النتيجة التي تؤدي إليها وهؤلاء البرجماتيون وإن كانوا يختلفون عن الوضعيين في أنهم يجعلون **للميتافيزيقا مكانا في الفلسفة إذا ما أمكن أن تؤدي الأفكار الميتافيزيقية إلى نتائج عملية فهم في الحقيقة** ينزعون من الفلسفة سلطاتها التقليدية كوسيلة للتوصل إلى الحقيقة وإلى مقياس لها في الوقت نفسه ويكلون ذلك كله إلى التحقق والتجربة وإذن فالحق والباطل سينتهي في التحليل الأخير إلى النجاح والفشل بل الفضيلة ستنتهي إلى أن تكون عبارة عما يحققه الفعل الفاضل من منفعة في حياة الإنسان

ب- الموقف الماركسي : تعتبر الماركسية الفكر الفلسفي أداة للتغيير الاجتماعي

٥-**الاتجاه الروحي** : الذي يعارض الاتجاه المادي في الغرب ويرفض إقامة الفلسفة على الأساس المادي وحده ويؤكد على الطابع الروحي في بناء الوجود وطبيعة الحقيقة النهائية ويتميز عن الاتجاهات السابقة في نظرته إلى منهج الفلسفة غايتها فهو من حيث المنهج لا ينكر العقل ولكنه ينكر الإسراف في تقديره

بين الفلسفة والدين : يعرف أسلافنا الدين عادة بأنه / وضع إلهي سائق لذوي العقول باختيارهم إلى الصلاح في الحال والفلاح في المال وربما كان التعريف التالي لباحث معاصر أكثر وضوحا وشمولا ودقة

الدين هو الإيمان بذات إلهيه جديرة بالطاعة والعبادة

ثم يضيف / إن هذا هو معنى الدين إذا نظرنا إليه من حيث هو حالة نفسية بمعنى التدين أما إذا نظرنا إليه من حيث هو حقيقة خارجية فنقول : **هو جملة النواميس النظرية التي تحدد صفات تلك القوة الإلهية وجملة القواعد العملية التي ترسم طريق العبادة**

العلاقة بين الدين والفلسفة لا ترجع فقط إلى ناحية تاريخية بحتة حيث تبادل التأثر والتأثير كما سلفت الإشارة بل ترجع إلى ما هو أعمق من ذلك في الواقع وهو وحدة الهدف والموضوع فمطلب الفلسفة هو معرفة أصل الوجود وغايته ومعرفة سبيل السعادة الإنسانية في العاجل والأجل هذان هما موضوعا الفلسفة بقسميها العلمي والعملي وهما كذلك موضوعا الدين بمعناه الشامل للأصول والفروع بقسميها

أما بالنسبة للفلسفات التي تلتقي مع الأديان في الاعتراف بوجود وراء المادة المحسوسة وتقول بصانع قادر للعالم فهي بدورها تختلف عن الأديان ويمكن أن نجد هذه الفروق في محاولات بعض الفلاسفة في العصور المختلفة المقارنة بين كل من الدين والفلسفة

وإذا كان موضوع الإيمان الحقيقة الكبرى والمثل الأعلى فهنالك تتحول الفكرة قوة دافعة فعالة خلاقة ولا يقف في سبيلها شئ في الكون إلا استهانت به أو تبلغ هدفها .

ثم يعقب مستخلصا للفروق على نحو تفصيلي :

١-غاية الفلسفة المعرفة وغاية الدين الإيمان

٢-مطلب الفلسفة فكرة جافة ومطلب الدين روح غلابة وقوة محركة

٣-الفلسفة تعمل في جانب من جوانب النفس والدين يستحوذ عليها جميعا

٤-غاية الفلسفة نظرية حتى في قسمها العلمي وغاية الدين إلى التدفق والاتصال

٥-الفلسفة تميل إلى التقوقع والاستعلاء بينما ينزع الدين إلى التدفق والاتصال

٦-الأديان السماوية المستندة إلى الوحي صنعة إلهية لاتأتي عن اكتساب وسعي بشري بينما الفلسفة تقوم على الجهد البشري والخبرة الإنسانية المحدودة بحدود واضعيها

بين الفلسفة والعلم

نذكر من البداية أن المراد بالعلم حيث يذكر مقابلا للفلسفة هو العلم الطبيعي القائم على المنهجين التجريبي والرياضي أما الفلسفة وقد عرفنا معناها **فقد كانت على علاقة بالعلم كما تبين منذ ظهور الفكر الفلسفي عند اليونان بالمعنى التقليدي** بل كانت مرادفة للعلم تقريبا في العصر القديم إلا أن العلوم بدأت تنفصل عن أمها الفلسفة تدريجيا على مر العصور وأصبح كل علم منا يتخذ مجالا خاصا من مجالات الوجود موضوعا لبحثه فالرياضيات تبحث في الوجود من حيث الكم والطبيعيات في الوجود من حيث الكيف

وبالاستقلال التدريجي للعلوم عن الفلسفة فقد أصبح للعلم موضوعاته التي يبحثها منهجه الذي يتميز به وله تعريفاته التي تحدد طبيعته ومن أشهر التصورات الذائعة للعلم أنه ضرب من المعرفة التي يحصلها الإنسان عن العالم الخارجي أو هو تنظيم المعلومات وتصنيفها مع ربطها والعمل على تفسيرها ويمكن أن نحصر الفروق المميزة بين ماهو فلسفة وماهو علم بالمدلول الحديث فيما يلي :

١-غاية العلم وصف الظواهر والكشف عن قوانينها أما الفلسفة فإنها تحاول تفسير ما تصل إليه العلوم من نتائج عن الحقيقة ولهذا فإن الفلسفة وإن كان من واجبها ان تعتمد على أخر ما وصل إليه العلم في عصرها فإن العقل الفلسفي يؤلف بين النظريات العلمية للوصول إلى نظرية عامة يفسر بها طبيعة الكون ولا يكتفي بتجميع النتائج التي تنتهي إليها بالبحوث العلمية

٢-العلم ينتقل من الموضوع إلى الموضوع دون تدخل الذات طبقا لقواعد المنطق الاستقرائي الذي يقوم على الملاحظة والتجربة أما في ميدان الفلسفة فنحن تنتقل من الموضوع أي من العالم الخارجي إلى الذات ثم نتجه إلى العالم

الخارجي من خلال الذات فالخلوة إلى الذات أي التأمل شرط التفلسف كما سبق إيضاحه كما أن الفلسفة تعتمد على أسلوب التحليل والتركيب العقليين لا على الملاحظة والتجربة

٣-العلم التجريبي يقوم الآن على دراسة الظواهر دراسة كمية أي إخضاعها للمقاييس الكمية مهملا بذلك بعض الجوانب الهامة للظواهر كما يقول برجستون فيقيس مثلا المظاهر الفيزيقية للحالات النفسية ويقيس أيضا طول الموجات الصوتية والضوئية وأبعاد الأجسام أما الفلسفة فإنها تحتفظ بالخاصية الكيفية للظواهر وتحاول وصفها ومن ثم كانت أقرب للواقع الوجودي .

بين الفلسفة والفن

قد يقال إن الفلسفة تهدف إلى الكشف عن الحق بينما موضوع الفن هو الجمال تجريدية نظرية بينما يعمد الفن إلى التصوير والتجسيد وأن الفلسفة تقصد إلى الإقناع أو الإثبات ألبرهاني بينما يترك الفن أثرا عاما هو إلى المتعة واللذة الروحية والتجربة النفسية العميقة أقرب من مجرد المعرفة العقلية برهانيه كانت أو خطابية ويعرض مفكر مصري معاصر للعلاقة بين الفلسفة والفن فيقول : الفلسفة تجريد والفن تجسيد فهما على هذا التعريف نقيضان أو طرفان متقابلان أو هما على الأقل شيئان مختلفان

وخلاصة القول / إن الفيلسوف لا يشغل مكان الفنان والفنان لا يشغل مكان الفيلسوف على أية حال

الفصل الثالث – أقسام الفلسفة أو تصنيف العلوم الفلسفية

أقدم ما روي من تصنيفات هو ما ينسب إلى أفلاطون الذي قسم العلوم الفلسفية إلى ثلاثة

أولها الجدل ويشمل عند النظر في المعرفة الإنسانية وفي مسائل ما بعد الطبيعة

الثاني : العلم الطبيعي / ويشمل الفلسفة الطبيعية وعلم النفس

الثالث: الأخلاق ومهمته دراسة السلوك الإنساني

أما أرسطو : **فقد كان يستخدم كلمة (الفلسفة النظرية) للدلالة على علوم الرياضة والطبيعة والإلهيات**

وفي أوائل العصر الحديث قسم فرنسيس بيكون الفلسفة باعتبار موضوعاتها إلى ثلاثة أقسام :

١-الفلسفة الإلهية وموضوعها الله سبحانه وتعالى

٢-الفلسفة الطبيعية وموضوعها الطبيعة أو العالم

٣-الفلسفة الإنسانية أو (الإنثروبولوجيا) وموضوعها الإنسان

ميادين الفلسفة الرئيسية في التصنيف المعاصر ثلاثة هي الوجود – المعرفة – القيم

أولا : مبحث الوجود أو الانطولوجيا :

و لايزال بعض الباحثين المعاصرين يسمى هذا المبحث الأول من مباحث الفلسفة (الميتافيزيقا) ثم يقسم محتوياته بعد ذلك تقسيما داخليا إلى ثلاثة فروع :

١-الفرع الأول/ الانطولوجيا أو البحث في المبادئ العامة للوجود المطلق كالوجود والعدم والحركة والسكون والتغير والثبات والضرورة والإمكان بما فيها المباحث الإلهية سلبا أو إيجابا ونحو ذلك

٢-الفرع الثاني : الاكسمولوجيا وهي البحث في العالم المادي نفسه وصورته العامة وأقسامه وكل ما يتعلق بتكوين نظرية شاملة عن العالم

٣-الفرع الثالث : السيكولوجيا وهي البحث في النفس الإنسانية وما يتعلق بها من ظواهر

ثانيا / نظرية المعرفة أو الأيستمولوجيا : وهو العلم الذي يبحث في المسائل المتصلة بطبيعة العلم الإنساني من حيث إمكانه ووسائله وصوابه وخطؤه وحدوده التي يقف عندها ولم يكن هناك حد فاصل بين مبحثي الوجود والمعرفة عند أفلاطون وأرسطو ويرى البعض أن الفيلسوف الإنجليزي (جون لوك) هو واضع أسس نظرية المعرفة في ثوبها الحديث بكتابه الهام (مقالة في التفكير الإنساني) الذي نشر سنة ١٦٩٠م وبحث فيه أصول المعرفة الإنسانية وهي عنده الإدراك الحسي أو الإحساس والإدراك العقلي والموضوعات التي تبحثها نظرية المعرفة هي بوجه عام كما يرى البعض تتمثل في :

الموضوع الأول / البحث في إمكان المعرفة : ويقع الخلاف هنا بين مذهب مذهب اليقين أو مذهب الدوجماطبقيين ومذهب الشك الذي ينقسم إلى شك مذهبي ينكر المعرفة أو يقول بنسبيتها وشك منهجي يتخذ الشك سبيلا للوصول إلى الحقيقة

الموضوع الثاني / البحث في مسالك المعرفة أو الطرق الموصلة إليها ، ويطالعنا في هذا الصدد :

أ-**العقليون** ويرون أن العقل مستقل عن التجربة وهو بنفسه مصدر المعرفة

ب-**الحسيون** ويذهبون إلى أن الحس هو المصدر الوحيد للمعرفة

ت-**النقديون** ويقيمون نظرية المعرفة على الحس والعقل معا مع تحديد دور كل منا في الوصول إلى الحقيقة

ثالثا / مبحث القيم أو الاكسيولوجيا / يدرس المثل العليا والقيم المطلقة التي يسعى الجميع لتحقيقها في حياتهم. وهناك ثلاثة قيم أساسية هي:

قيمة **الحق**: ويدرسها علم المنطق الذي يضع لنا قواعد التفكير السليم.

قيمة **الخير**: ويدرسها علم الأخلاق الذي يوضح لنا قواعد السلوك الأخلاقي.

قيمة **الجمال**: ويدرسها علم الجمال الذي يوضح لنا مقاييس الشيء الجميل وينمي الذوق الجمالي لدي الإنسان.

هناك مجموعة من الدراسات وثيقة الصلة بتخصصه بل هي تلحق بالدراسات الفلسفية عند طائفة من مؤرخي الفلسفة وتستقطب اهتمامات الفلاسفة أحيانا تبعا لظروف ثقافية أو اجتماعية معينة وتسمى أحيانا فلسفة الثقافة أو الحضارية ومنها:

١-**فلسفة القانون** / ويبحث في الأسس التي تقوم عليها القواعد القانونية وفكرة العدالة وصلة القانون بالأخلاق والمفهومات العامة في الفكر القانوني كالمسئولية والجزاء والنية والإرادة والقصد والعلية والحرية بالإضافة إلى محاولة وضع نظرية عامة في طبيعة القانون وأهدافه بصفة عامة

٢-**فلسفة الدين** / ويفرقون بينها وبين علم اللاهوت أو الثيولوجيا الذي يهتم بدراسة عقيدة معينة أو الدفاع عنها بأن فلسفة الدين تبحث في المفاهيم والأصول العامة للدين بالمعنى العام كمفهوم الإلوهية والوحي والعبادة والخلود

الباب الثاني – نظرة عامة إلى تاريخ الفكر الفلسفي – تمهيد – التفلسف بين الشرقيين والغربيين

الفصل الأول – الفكر الفلسفي في العصر القديم : إن الإسهام الفكري الذي قدمته كل من الهند والصين للتراث الفلسفي في العصر القديم على جانب كبير من الشهرة والأهمية أيضا ويكفي أن نشير في سرعة إلى :

١–كتب الفيد الهندية التي يرجع تاريخها إلى أكثر من ألف عام قبل الميلاد والتي قام على أمرها كهنة من البرامهة ذوو علم ونظر استطاعوا أن يستخلصوا منها نظريات في المعرفة والوجود وأن يرتبوا على ذلك ضربا من الحكمة العملية ترمي إلى التحرر من الألم والوهم

٢–وأما عن الصين فأناشيدها الدينية ترجع إلى أكثر من ألف عام قبل الميلاد أيضا ولكن في وقت معاصر لازدهار الفكر الإغريقي القديم نشأ فيها نوع من الفلسفة ذو نزعة عقلية واتجاه عملي من أبرز رجاله (لاوتسي ٦٠٤ ق .م) و(كونفوشيوس ٤٧٩ ق.م) وهما من الشهرة بمكان مرموق

يكفي لتحقيق غرضنا هنا وهو بيان أهمية الفكر الشرقي الفلسفي القديم أن نعرض نموذجين اثنين منه :

١–الفكر الفارسي – زرادشت والزرادشتية /

كان الفرس القدماء يعبدون ألهة عدة بعدد قوى الطبيعة ومظاهرها المختلفة ثم مالوا إلى تقديس العناصر الأربعة أو ما يماثلها وجرى العامة في عبادتهم على طقوس شنيعة تصل إلى حد تقريب القرابين البشرية حتى جاء زرادشت فحاول الارتفاع بهم إلى لون من الوحدانية وإن لم يخل من أثار الثنوية القديمة وعرض مذهبا في الميتافيزيقا والكون والإنسان له قيمة فلسفية عالية ولكن النصوص التي تعبر عن هذا المذهب لم يتم جمعها كما هي الآن إلا في وقت متأخر حوالي القرن السادس بعد الميلاد وعرفت ب (الزندافيستا) ولكثرة الأساطير التي نسجت حول شخصية هذا الداعية الفارسي فقد مال البعض إلى إنكار وجود التاريخي ولكن البحوث الحديثة تؤكد أنه ليس مجرد شخصية أسطورية وأنه قد عاش فعلا فيما بين القرنين ٨–٦ قبل الميلاد والذي يهمنا هنا هو تصوير أرائه في مجالات الفلسفة الرئيسية الثلاث الميتافيزيقا والطبيعة والإنسان

أ . **الميتافيزيقا** / ورث زرادشت عن أساتذته فكرتين أساسيتين أولاهما هي وجود نظام في العالم والأخرى هي وجود الصراع فيه والمشكلة الّتي شغلت زرادشت هي التوفيق بين وجود الشر والاضطراب في هذا العالم وبين خيرية الإله المطلقة.

ب-**العالم** / إذا انتقلنا إلى تصور زرادشت للعالم فإننا نجد أن ثنويته تقوده إلى أن يقسم العالم أو الموجودات الكونية إلى نوعين أو قسمين أولهما الموجودات الحقيقية الخيرة الفائضة عن القوة والخلاقة لروح الخير والثاني يتمثل في الموجودات الظلية السلبية أو الهدامة الفائضة عن روح الشر

ت-**الإنسان** / إذا اختارت النفس طريق الخير مضت إلى العوالم العليا متحررة من قيود الجسد وملكاته الحسية محتفظة بقواها الروحية متدرجة في المقامات التالية :

١-مقام الأفكار الطيبة ٢- مقام الكلمات الطيبة ٣- مقام الأفعال الطيبة ٤- حتى تصل إلى مقام المجد الخالد حيث تتحد بأصل النور دون أن تفقد شخصيتها وقد تطورت هذه العقيدة الإيجابية المتفائلة النزاعة إلى التوحيد بعد موت مؤسسها في اتجاهين أحدهما يميل إلى توحيد خالص والأخر يميل إلى ثنوية صريحة

النموذج الثاني : الفكر المصري القديم

كشفت البحوث الحديثة عن وثائق وشواهد جديدة تتصل بالحياة الفكرية الروحية للمصريين القدماء تدل على تفكيرهم في الإلوهية ونزوعهم إلى التوحيد وفي الخلق وما يتسم به الوجود من توازن ووحدة وفي الأخلاق والنظم الاجتماعية ومن هذه الوثائق البالغة القيمة مايلي :

١-نصوص الأهرام

٢-نصوص التوابيت

٣-كتاب الموتى الشهير الذي ترجم إلى لغات عديدة فيمثل مختارات من الأدب الجنائزي كانت منتشرة بصورة شعبية وهي مأخوذة من نصوص التوابيث و الأهرام وغيرها ويمثل فترة متأخرة نسبيا

ثانيا : في الغرب – الفلسفة الإغريقية /

أقدم ما وصل إلينا من تراث الفكر الإغريقي (الإلياذة – والأوديسة -) وهما ملحمتان ترجعان إلى القرنيين التاسع والثامن قبل الميلاد وتصوران العقائد الوثنية الشعبية والمفاهيم السائدة للحياة والأخلاق السياسية والحرب

الفلسفة الإغريقية قبل سقراط / اهتم المفكرون الإغريق في هذه المرحلة بالبحث الطبيعي والتساؤل عن نشأة الكون والعلة الأولى لذلك ونشأت لديهم اتجاهات متعددة في هذا الصدد تركز على التغيير والصيرورة كطابع أساسي للكون أو على الثبات والديمومة فيه أو على التناسق والعدد أو على مزيج من هذه السمات الثلاث ومن ثم يمكن أن نميز لديهم حينئذ أربع مدارس فلسفية لعل أقدمها :

أ–مدرسة الطبيعيين الأوائل / وقد أنشأها فريق من الأيونيين وهم أنجب القبائل اليونانية بمدينة ملطية على شاطئ أسيا الصغرى ولذا تسمى المدرسة الملطية والمدرسة الأيونية ومن أشهر فلاسفة هذه المدرسة : طاليس (٦٢٤– ٥٤٦ ق.م): الذي يعد أول من وضع المسألة الطبيعية وضعا نظريا وبحثها معتمدا على العقل والملاحظة الواقعية

ب)المدرسة الفيثاغورية / ينبغي قبل الحديث عنها أن نلقي الضوء على إحدى النحل الدينية التي أثرت فيها وهي (الأورفيه –نسبة إلى أورفيوس) .

وكان لـل (أورفيه) تأثيرها القوي في فيثاغورث بل وفي سقراط وأفلاطون حيث يمكن القول أنها وجهت الفلسفة وجهتها العقلية الروحية على أيديهم .

و كانت الفلسفة الفيثاغورية تدور حول محور التناسخ ، وهي خروج الروح من جسد إلى جسد آخر

ج/ المدرسة الإيلية : تنسب هذه المدرسة إلى إيليا وهي مدينة بناها (الايونيون) الهاربون من وجه الفرس إلى الشاطئ الغربي في ايطاليا الجنوبية حوالي سنة ٥٤٠ ق.م ، ومع أن هذه المدرسة تنسب أيضا إلى بارمنيدس باعتباره الممثل الحقيقي لها وهي المنشئة لعلم ما بعد الطبيعة

د) الطبيعيون المتأخرون : ثم عاد الاتجاه الفلسفي بعدهم إلى العلم الطبيعي أو معالجة المسألة الطبيعية على يد أنباذوقليس وأنكساغوراس وديمقريطس متأثرين بالمدرستين الإيلية والفيثاغورثية

تعرض هذا الفكر لمحنة السفسطة والسوفسطائيين الذين تشككوا في العقل وفي أصول الأخلاق واتجروا في التعليم والتدريب على الجدل ونادوا وعلى رأسهم بروتاجوراس بأن الإنسان الفرد هو مقياس كل شئ فكانت أرائهم ومواقفهم نكسة للفلسفة ومناهج العقل الأمر الذي أدى برد الفعل إلى ظهور سقراط

سقراط : جاء سقراط (٤٧٠ – ٣٩٩ ق . م) خصما عنيدا للسوفسطائيين وأخذ على عاتقه الرد على أباطيلهم بكل الوسائل

فابتكر بذلك الفلسفة الروحية الإنسانية القائمة على التساؤل والبحث العقلي المنظم و كان يقول : إنّ الدين الصحيح يقوم على الالضمير النقي والعدالة الإلهية .

أفلاطون (٤٢٧ – ٣٤٧ ق . م)

ولد وتثقف في أثينا وأعجب بسقراط أستاذه ولزمه وحزن عليه عندما أعدم فغادر أثينا وأخذ ينظر نظرة جديدة إلى السياسة والديمقراطية التي كان يعدها مسؤولية عن محاكمة أستاذه والحكم عليه وأمن بأن الحكومة العادلة لا تقوم بلا تمهيد سابق لها في التربية والتعليم فقضى حياته يفكر في السياسة ويمهد لها بالفلسفة وقد استخدم منهج الجدل بمرحلتيه الصاعدة والنازلة وهو عبارة عن المنهج الذي به يرتفع العقل من المحسوس إلى المعقول أي من العلم بالمحسوسات المتغيرة إلى العلم بالمبادئ الأولى والحقائق الثابتة وهو ما سماه بعالم (المثل) والذي يصل إليه العقل بعد إدراك العلوم الجزئية والمحسوسات المتغيرة وسنكتفي بعرض فكرة واحدة – ولكنها سياسية – من فلسفة أفلاطون محيلين على مؤلفاته التي ترجمت كثيرا منها إلى العربية لكي يلم بنظرياته في الميتافيزيقيا والطبيعة والإنسان وهذه الفكرة هي : فكرة المثل .

أن نظرية المثل عند أفلاطون تعبر عن الصورة الأولى للمذهب العقلي في المعرفة

أرسطو (٣٨٤ – ٣٢٢ ق .م) حياته ومؤلفاته :

أشهر كتبه :

١–الكتب المنطقية : أهمها المقولات العبارات أو القضية

٢–الكتب الطبيعية / أهمها السماع الطبيعي أو سمع الكيان

٣–كتاب ما بعد الطبيعة (ميتافيزيقيا)

٤–الكتب الخلقية والسياسية : أهمها كتاب الأخلاق

٥–الكتب الفنية : الخطابة الشعر

الكندي

لمحة عن حياته :

هو أبو يوسف يعقوب بن إسحاق بن الصباح بن الأشعث

ب–جوانب من فلسفته : يقترب الكندي من المعتزلة فهو فيلسوف ومتكلم معا ورغم تأثره بالأفلاطونية المحدثة إلى جانب المشائية فإن مشائيته ربما كانت أصفى ممن جاءوا بعده من الفلاسفة باستثناء ابن رشد ولعل الفضل في ذلك يرجع إلى اعتزاليته

بعض أفكاره الفلسفية التي تتصل بالمجال الديني :

١ – الكندي والتوفيق بين الدين والفلسفة :

تتمثل الدوافع والأسس التي يقيم عليها الكندي توفيقه في أمور منها :

•غاية الفلسفة تلتقي تماما مع غاية الدين (حسب تعبير المؤلف)

•إذا كان منهج الفلسفة يقوم على العقد بينما يستند الدين الإسلامي إلى الوحي فإن جاء به الوحي – أي القرآن – يمكن في نظر الكندي (أن يفهم بالمقاييس العقلية التي لا يدفعها إلا من حرم صورة العقل واتحد بصورة الجهل)

•الفلسفة لا تتناقض مع الدين (حسب تعبير المؤلف) فهي ليست بديلا منه

•مهما كان حظ الفلسفة من تحقيق الغاية التي تسعى إليها فلا ينبغي إهمالها أو معاداتها (بحسب رؤية الكندي) فالحكمة ضالة المؤمن يطلبها ويفرح بها ويشكر أصحابها أيا كانوا

ويلجأ الكندي أيضا إلى فكرة تتردد كثيرا في مجال الدفاع عن الفلسفة / هي أنه من الضروري لمن يعارض دراسة الفلسفة أن يدرسها أولا فرفض الفلسفة هو نوع التفلسف .... **وقد فرغ جهده لتأكيد المبدأ الأهم الذي آمن به هو وغيره من الفلاسفة المسلمين وهو مبدأ الاتفاق بين الشريعة والحكمة أو الدين والفلسفة وشرحها من خلال البرهنة على وجود الله تعالى ووحدانيته**

الفصل الثالث – الفلسفة الحديثة

أولا : في الشرق – الفلسفة الإسلامية الحديثة

ابن خلدون / هو ولي الدين عبدا لرحمن بن محمد بن خلدون ولد بتونس وحصل على علومه فيها ثم درس الفلسفة

من الأمور الجديرة بالإشارة في فكر ابن خلدون

انتقد الفلاسفة في انتقد ابن خلدون الفلاسفة في ثلاثة أمور :

١ . ادعاؤهم معرفة كل شيء .

٢ . ادعاؤهم أنّهم يستطيعون بالأقيسة المنطقية معرفة كل شيء .

٣ . وتوجيه همهم إلى معرفة هذا الوجود من حيث علله التي صدر عنها .

أ–**الفلسفة وفلسفة التاريخ** : يقول ديبور : (لم يقنع ابن خلدون بالفلسفة المتوارثة كما وصلت إلى علمه وكان رأيه في العالم لا ينصب في قوالبها الثابتة المقررة ويبين ذلك بقوله : يزعم الفلاسفة أنهم يعرفون كل شي أما ابن خلدون فكان يرى أن العالم أوسع من أن يستطيع عقلنا الإحاطة به وأنه يوجد من الكائنات والأشياء أكبر بما لانهاية له مما نستطيع أن نعمل (ويخلق ما لا تعلمون)

ولذا فقد انبرى فيلسوفنا والكلام مازال لديبور (يزعم أنه يؤسس فرعا فلسفيا جديدا لم يخطر قط على قلب أرسطو والفلسفة كما يقول الفلاسفة هي علم الموجود من حيث صدوره من علله وهو يقولون في هذا الصدد أقوالا لا يمكن البرهان عليها ومعرفتنا بهذا العالم الذي نعيش فيه أوثق من معرفتنا بما يقولون

ب–**ابن خلدون وعلم الاجتماع الذي سبق إلى وضعه** : استعرض ابن خلدون جهود المؤرخين قبله كما أشار في المقدمة وانتهى إلى وجوب كتابة التاريخ بمنهج جديد يقوم على الشرح والتحليل وتعليل الحوادث لا مجرد السرد

وإذ يصل ابن خلدون في تحليله إلى هذا الحد فإن يصرح بوجوب قيام هذا العلم ويكاد يعطيه اسمه الذي عرف به وإن كان يسميه أحيانا علم العمران

على أن ابن خلدون لم يكتف بالدعوى النظرية إلى هذا العلم بل وتوصل فيه إلى بعض النتائج والأفكار وإن كان أكثرها يقول الأستاذ الخشاب

حدد ابن خلدون موضوع العلم بأنه دراسة علم الاجتماع الإنساني وظواهره

ثانيا : الفلسفة الحديثة في الغرب :

ثمة جانبان لهما الأهمية القصوى أثّرا في الفلسفة في هذا العصر :

أ-تضاؤل سلطة الكنيسة ب- تزايد سلطة العلم

ديكارت (١٥٩٦- ١٦٥٠م) ولد بفرنسا وتعلم في مدرسة للآباء اليسوعيين كانت من أشهر المدارس في أوروبا وأتم الدراسة بها حيث كانت الفلسفة تحتل مكانا

١-غاية الفلسفة ومهمتها عند ديكارت :

يعرف الفلسفة بأنها : دراسة الحكمة ثم يضيف أنه لا يقصد بالحكمة التحوط في تدبير الأمور فحسب بل يقصد بها المعرفة الكاملة بكل ما يستطيع المرء معرفته إما لتدبير حياته أو لحفظ صحته أو لاستكشاف الفنون جميعا

ب-المنهج الديكارتي :

يرى ديكارت أن العقل هو أداة عامة وزعت على جميع بني الإنسان توزيعا عادلا أو هو أعدل الأشياء قسمة بين الناس ويشرح ذلك فيقول:

إن العقل هو خير الأشياء توزعا على الناس بالتساوي وليس براجح أن يخطئ الجميع في ذلك ، بل الراجح أن يشهد هذا بأن قوة الإصابة في الحكم وتمييز الحق من الباطل . ومن هذا تتضح أهمية المنهج ليقود العقول في طريق واحدة مستقيمة والمنهج الذي ينبغي لكل عاقل أن يسلكه يعتمد أساسا على :

- حدث المبادئ الأولية --- ثم استنباط القضايا الجديدة من المبادئ المسلمة

ج - قواعد المنهج : / لهذا المنهج قواعد أربعة أساسية نلخصها تقريبا من ألفاظ ديكارت نفسه :

أ-**الأولى** : قاعدة الوضوح العقلي : ألا أسلم بحقيقة أي شيء مادمت لا أعرف أنه حقيقة لكونه ظاهرا واضحا بينا أمام روحي ظهورا مانعا لكل شك فمقياس الحقيقة في نظره هو الوضوح العقلي الحاسم لكل غموض أو شك

ب–**الثانية** : قاعدة التحليل العقلي : أن أقسم كل مسألة صعبة إلى أجزاء أي العناصر البسيطة التي تتكون منها وهو ينبهنا إلى أن أي مشكلة فكرية هي بناء مركب من عناصر عدة بعضها معلوم وبعضها مجهول لنا والكشف عن المجهول يستوجب تحليل المشكلة إلى عناصرها المختلفة قدر الإمكان والتركيز على العناصر التي يعتمد عليها في حلها

ج–**الثالثة** : قاعدة التركيب العقلي : أنا أفكر بالترتيب والتدرج فأبتدئ بالنظر إلى أبسط الموضوعات وأسهلها ثم أسير إلى معرفة الموضوعات الأكثر تركيبا وأفرض نظاما في المواضع التي تبدو غير مرتبة في الطبيعة

د–**الرابعة** : قاعدة المراجعة والفحص الدقيق : أن أكمل إحصاء أجزاء الموضوع الذي أبحثه وأولفها تأليفات جامعة حتى أعرف يقينا أني لم أهمل شيئا أو أغفل حالة قد تؤثر على نتيجة البحث وهذه ناحية هامة لأن بعض الباحثين قد يغفل عنصرا من عناصر البحث أو يسرع في الربط بين العناصر المختلفة فيقع فريسة للخطأ

وأهمية القاعدة الأولى تتمثل في / الحرص على التحقيق العلمي – القائم على الحدث المباشر اليقيني – والمسبوق بلون من الشك المنهجي

وأهمية القاعدة الثانية تتمثل في / التحليل الذي يمهد لهذا الحدث أو المعرفة اليقينية ألحقه

وأهمية القاعدة الثالثة تتمثل في / التركيب الذي يعتمد على التدرج وافتراض النظام بين الأجزاء الواضحة أو الحدود بحيث يلزم كل منها عن الأخر كي تترابط المعرفة

وأهمية القاعدة الرابعة تتمثل في / تحقيق شمول البحث وتكمل المقصود بالقاعدة الثالثة

وهذه القواعد العقلية الأربع لابد لها من صفات خلقية لتؤتي أكلها تتمثل في الإخلاص للحق والتصميم على بلوغه والقناعة به والقصد بصفة عامة

القاعدة الأساسية التي بني عليها فكره الفلسفي هي (الكوجيتو الديكارتي : الشهير بالعبارة (أنا أفكر إذا أنا موجود) .

د–الكوجيتو الديكارتي : ربما كان الكوجيتو أو اليقين الأول الذي ينتقل فيه ديكارت من إثبات الذات الواعية إلى إثبات الحقائق الأخرى حول الله والعالم هو أشهر أفكار ديكارت وأكثرها تمثيلا لفلسفته وطريقته في تحقيق منهجه العقلي

الباب الثالث / الإسلام والفكر الفلسفي --- تمهيد :

ـ من أبرز ملامح اتجاهات الفلسفة الغربية المعاصرة:

ـ المادية كما ظهرت في تصور " الماركسية "

ـ الحضارة الغربية إرث للحضارة اليونانية الغربية

ـ اعتماد الحضارة الغربية على القوة وقعقعة السلاح

– فشل الحضارة الغربية في رفع المعنويات الإنسان

ثانيا / الحضارة الغربية إرث للحضارة اليونانية الغربية

الفصل الثاني ---- الإسلام والمذاهب الفلسفية المعاصرة /

أولا: الوجودية وموقف الإسلام منها :

تنسب كلمة الوجودية إلى الوجود لا الوجود المطلق ولكنها تعني أن يهتدي الإنسان إلى وجود بنفسه لا بالتحليل النفسي والمراقبة الباطنية ولا يهتدي بهدي الأخلاق المقررة وأصول الآداب المتواضع عليها لأنها تنشأ قبل نشوء الأفراد وإنما تهتدي إلى وجودنا بثورة في أعماق هذا الوجود

بدأت الوجودية بمؤسس هذا المذهب في العصر الحديث سورين كركجارد الدنمركي وكانت حياته تفسر مذهبه إذ صدم في مقتبل شبابه ثم تعددت المذاهب فأصبحت وجوديات كثيرة وكان الأساس الصحيح التي تقوم عليه الوجوديات السليمة

أما الصورة الأخرى فهي صورة من صور الإباحية الأخلاقية يقيمها أصحابها على سند فلسفي يسوغون يه ضعفهم وانحلالهم وهم يخجلون من الضعف والانحلال بغير سند منسوب إلى الفكر والفلسفة

الأساس الفلسفي للوجودية :

تقوم الوجودية كفلسفة على فكرة رئيسية مؤداها أن الوجود أسبق من الماهية

وفي هذا الصدد يقول سارتر :(إن ذلك يعني أن الإنسان يوجد قبل كل شي يصادف ويظهر في الطبيعة والكون ومن ثم يحدد ويعرف .

فما هي الطريقة التي يقرر بها الفرد وجوده ؟

عند بعضهم أن وجود الفرد يتقرر ويتحقق بإطلاق العنان لرغباته وشهواته يفعل ما يشاء ولا يبالي العرف أو الدين وعند فريق أخر من الوجوديين أن الفرد يتحقق وجوده إذا اتصل بالوجود الأعم وجود الإله أو وجود الكون وتصور سارتر ناجم عن إلحاده وكفره

النقد الفلسفي للوجودية :

أول ما يقال : إن تصور سبق الوجود على الماهية خطأ في العقل والمنطق وخطأ في القياس والاستدلال (فوجود النوع الإنساني أولا وجود حقيقي صادق في الحس كصدق وجود الفرد أو أصدق لأن وجود النوع الإنساني حقيقة بيولوجية من حقائق اللحم والدم وليس فرضا من فروض التصور في الأذهان ولا يتم كيان الفرد نفسه إلا إذا نضجت من الوظائف النوعية التي يتحقق بها وجوده كما يتحقق بها النوع)

إن الجانب الإيجابي في الفلسفة الوجودية هو الحرية الإنسانية وتحمل الإنسان نتائج هذه الحرية ولكن هناك شقا أخر يوجه للوجودية في هذه المسألة إذ الحرية لا تصبح ذات هدف إنساني وقيمة إيجابية إلا إذا تقيدت بالقيم الأخلاقية وبغير هذا الالتزام تصبح هذه الحرية هادمة للفرد وللمجتمع البشرية

ويرى جارودي أن تصور الوجودية للحرية المجردة الصورية تؤدي إلى تطبيقات عملية تبعث على الذعر .

موقف الإسلام من الوجودية :

افترض سارتر والمروجون لأرائه فروضا نسجها في خياله وبدأ منها كمسلمات لا نقره عليها للأسباب التي سنذكرها : فقد رأي افتقاد الإنسان لطريق الهداية وحمله وحده مسؤولية تفسير معالم الحياة فصارت أمامه أشبه بالطلاسم فأخذته الحيرة وأسلم نفسه لهواجس القلق ومعاول الضياع وهنا تظهر حاجة الإنسان للإيمان الحق استجابة لفطرته بل إنه يحتاج للإيمان أكثر من حاجته للطعام والشراب وهكذا فإن الإيمان بالله تعالى ورحمته هو الركيزة التي يستند إليها كل خير فمن هدمها فقد هدم كل شئ وعندها تصبح الحياة سأما والكون عدما كما يزعم سارتر وهدجر

أما المسلم فيعلم أن الغاية من خلقه فإن الله ابتلى العباد بالنعم كما ابتلاهم بالمصائب وعد ذلك كله ابتلاء فقال (و نبلوكم بالشر والخير فتنة)

البراجماتية اسم مشتق من اللفظ اليوناني براجما(Pragma) وتعني "العمل". وعرفها قاموس ويبستر العالمي(Webster) "بأنها تيار فلسفي أنشأه شارلز بيرس(peirce)ووليام جيمس (William James) يدعو إلى أن حقيقة كل المفاهيم لا تثبت إلا بالتجربة العلمية".

وكما يؤكد جيمس الذي طور هذا الفكر ونظَّر له في كتابه "البراجماتية" (Pragmatism)، فإن البراجماتية لا تعتقد بوجود حقيقة مثل الأشياء مستقلة عنها. فالحقيقة هي مجرد منهج للتفكير كما أن الخير هو منهج للعمل والسلوك؛ فحقيقة اليوم قد تصبح خطأ الغد؛ فالمنطق والثوابت التي ظلت حقائق لقرون ماضية ليست حقائق مطلقة، بل ربما أمكننا أن نقول: إنها خاطئة.

يقول الدكتور مصطفى حلمي: **" فالبراجماتية فلسفة عملية انبثقت من الروح المادية للقرن العشرين وهي أمريكية النشأة، رأسمالية الإتجاه وتنسب " البراجماتية " كفرع فلسفي إلى أصل شجرتها المسماة بـ " الوضعية " اتجاه فكرى يقتنع بما هو كائن ويفسره ويرفض: أن ينبغي أن يكون "،**

سمات البراجماتية :

- **اهتمت الفلسفة بقضايا الإنسان الفرد وحاولت أن تعالج مشكلاته الراهنة على قدر طاقتها.**
- **أكدت وجود الإنسان الفردي والاجتماعي وأحلته محل الآلة.**
- **أسقطت من اعتبارها معظم قضايا الميتافيزيقا.**
- **أنكرت قيام الوجود العام، وانصرفت عنه إلى دراسة الواقع المحسوس.**
- **انصرفت عن النظر العقلي المجرد الذي يهدف إلى كشف الحقيقة لذاتها إلى البحث الذي يهدف إلى تغيير الواقع من خلال الحقيقة واعتبارها مجرد أداة للتحكم في السلوك البشري.**
- **أغفلت المناهج العقلية والنقلية، واعتمدت أساساً على مناهج الحس والتجربة المادية(٢).**

مفهوم الدين في الفلسفة البراجماتية:

اعتمدت البراجماتية على مقولتين أساسيتين هما:

الأولى: ازدراء الفكر أو النظر.

الثانية: إنكار الحقائق والقيم.

فإن العمل عند البراجماتيين مقياس الحقيقة " فالفكرة صادقة عندما تكون مفيدة. ومعنى ذلك أن النفع والضرر هما اللذان يحددان الأخذ بفكرة ما أو رفضها ".

فليس عندهم من شئ يقال له الحق دون سواه!. إن الذي ندعوه بالحق إنما هو فرض عملي ـ أي أداة مؤقتة نستطيع بها أن نحيل قطعه من الخامات الأولية إلى قطعة من النظام.

فكرة النفعية تعدت –مجتمعيا– نطاق الفلسفة وصارت طريقة في الحياة عند الكثيرين فصاروا يبحثون عن المنفعة غير مبالين بما يحدث للآخرين!

ونضيف إلى ذلك أن هذه الفلسفة كانت ملهمة للنظام الرأسمالي القائم على مبدأ المنافسة الحرة، ثم ظهرت مساوئه عند التطبيق واستفحلت أخطاره التي تتضح – كما يرى الدكتور فؤاد زكريا في ثلاثة:

١.اللا أخلاقية بالرغم من التقيد ببعض الفضائل كالأمانة والانضباط والدقة ومراعاة المواعيد. ولكنها – كفضائل– ليست مقصودة لذاتها ولكنها تفيد الرأسمالي في تعامله مع الغير. وتظهر (اللا أخلاقية) بوضوح في أساليب الدعاية والإعلان.

٢.الارتباط الوثيق بالحرب.

٣.الانحرافات السلوكية وأظهرها الإجرام

الفصل الثالث – مستقبل الفكر الفلسفي في العالم الإسلامي :

(رينيه جينو) أو الشيخ عبد الواحد يحيى هو فيلسوف فرنسي أسلم وانضم للطريقة الشاذلية وكان مقيماً بمصر.

أخذ عهد الطريقة الشاذلية على يد العارف بالله المرحوم الشيخ سلامة الراضي. كان معروفاً بجبته الخضراء وعمامته البيضاء، كما كانت قامته فارعة أقرب إلى النحافة منها إلى السمنة. كان وجهه مشرقاً بالنور وسمته ملائكي ومشيته وقورة.

نقد العلامة جينو الفلسفي لما ألت إليه الثقافة الغربية :

تناول العلامة ما ألت إليه الثقافة الغربية بالنقد من خلال أمور عدة من أهمها :

١-تتبع مظاهر الانحدار في ثقافة الغرب

٢-إن المدلول الأصلي لكلمة (الفلسفة معناه (حب الحكمة) كما وصفها فيثا غورث ويرى رينيه أنها بهذا التعريف لا تعدو أن تكون مرحلة للتمهيد وشوطا في سبيل الحكمة كما أنها درجة أدنى من الحكمة ذاتها)

٣-من أهم المسائل التي شغلت العلامة رينيه أيضا صلة النقل بالعقل

٤-من الأمور التي تناولها جينو التحذير من فصل العلم عن المبادئ

ويرى العلامة عبدا لواحد يحي (رينيه جينو) أن النزعة الإنسانية كانت الصورة الأولى (للعلمانية) المعاصرة كما أن الرغبة في النزول بكل شئ إلى مستوى الإنسان الذي اعتبر غاية ذاته أدى إلى الانحدار من درك إلى درك للوصول إلى أدنى ما هو خسيس فيه والإعراض عن عالم الغيب بالمطلق .

وقد كان العلامة حريصا على مد جسور التفاهم بين الشرق والغرب فهو في سعيه لإصلاح شأن الحضارة الغربية الحديثة لم يكن يحمل لها العداء ويتعجب ممن يدافعون عن الغرب بينما هو الذي يهدد (باكتساح كل شئ واستدراج الإنسانية كلها إلى دوامة نشاط مضطرب ومنطلق على غير هدى)

ثانيا / الفكر الإسلامي كبديل للآراء الفلسفية :

يؤكد جمهرة المحدثين من الفلاسفة أن الفلسفة وهي قالب الفكر الذي ارتضاه عالم الغرب لنفسه لم تعد تأملا يستغرق صاحبه في عزلة عن صخب الحياة بل أصبحت دراسة للوجود ولعل تفسير ابن خلدون عن تقليد الأمم المغلوبة يوضح لنا جانبا من الأزمة التي انتقلت إلينا من الغرب المستعمر . والمسلم أمام أمرين لا ثالث لهما إما التمسك بعقيدته للنجاة من حملات الغزو أو الاستسلام لها وإلقاء سلاح المقاومة فيجرفه التيار ولهذا ليس أمامه إلا التمسك بكتاب الله وسنة رسوله (ص) والحق أن المتدبر للقران يستطيع أن يدرك أن الفكر الفلسفي في كل العصور لاسيما فيما يتصل بالحقائق الغيبية لا يتعدى كونه ضربا من الظنون (وإن الظن لا يغني من الحق شيئا) ومع تقديرنا للعقل الإنساني إلا أن له دورا محدودا فكما أن العين لا ترى إلا مع ظهور النور أمامها فكذلك نور العقل لا يهتدي إلا إذا طلعت عليه شمس الرسالة ويظهر ذلك جيدا إذا تناولنا في حديثنا موضوع العلم الإلهي بصفة خاصة

العلم الإلهي : وهو العلم الأعلى والأول بالإطلاق فإن الله سبحانه هو الأعلى وهو الأكبر ولهذا كان شعار أهل أكمل الملل هو (الله أكبر) في صلواتهم وأذانهم وأعيادهم وجهادهم أما الفكر الفلسفي فقد أخطأ عندما لجأ إلى العقل لاستمداد التصورات في العلم الإلهي وسبب الخطأ يرجع إلى جعل العقل في موضع الأصل والعكس هو الصحيح

وإذا تقيدنا بتعريف العلم الإلهي عند شيخ الإسلام ابن تيمية فإنه يعني العلم بالله والعمل له وهو فطري ضروري وأنه أشد رسوخا في النفس من مبدأي العلم الطبيعي والرياضي وقد أظهرت أبحاث العلماء المعاصرين ثبوت دليل الفطرة إذ كشفت عن التشابه الغريب بين عقائد القبائل البدائية في القارات الخمس (ولاسيما في بعض الجذور التوحيدية أو الجذور العقدية المستمدة من الوحي الصحيح) وانقسم المفسرون لهذه الظاهرة إلى فريقين – فريق يرى أن الإنسان تلقى إلهاما بالوحدانية قبل التاريخ وقبل الأجناس والقارات – وفريق يرى أن الطبيعة الإنسانية تتقارب في وحي البديهة وتستلهم شعور واحد بما وراء المادة المشهودة . ومن القضايا العقدية التي لا يمكن للعقل أن ينفرد بها :

أ-الملائكة : جعل الإسلام الإيمان بالملائكة أصلا من أصول الإيمان وأول ما يتبادر للذهن هو توضيح الإسلام حقيقة الملائكة التي أشاعت حولها المذاهب الفلسفية والأديان الأخرى الأباطيل فإنها عند بعضها معبودات وألهة أو أرباب ينوبون عن الله ويساعدونه في تسيير نظام الكون وعند البعض مجرد عقول وزعم البعض أنهم بنات الله أو أنهم شركاء الله في الإلوهية والربوبية وإزاء هذه المزاعم الخاطئة جاء القران بالتصور الصحيح للملائكة .

أما عن منزلة الملائكة في نظام الكون فقد بينها القران وفصل القول فيها تأكيدا لدعوة الإسلام إلى التوحيد الخالص الكامل في وجود الله تعالى وصفاته وأفعاله ومن ثم فليس للملائكة إلا الطاعة والعبادة والتسبيح والتقديس

ولقد ورد ذكر الملائكة في كتاب الله تعالى في مواضع متعددة وبأساليب شتى فقد قال تعالى في موضع (إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة) ومن هذا وجوب الإيمان بوجودهم كما في قوله تعالى في سورة البقرة

ومن خصائص هذا النور الذي خلقت منه الملائكة :

١-التواضع /

٢-الرحمة /

٣-حارس حفيظ /

٤ -الهداية إلى الخير والنفع /

ب-الإيمان باليوم الأخر : لاشك أن الإيمان بالغيب من الأمور التي أتى بها الرسول (ص) وأخبر عن الغيب المطلق الذي تعجز العقول عن معرفته وأكدها بالأدلة في هذه الدنيا ونود في هذا المجال أن نلجأ إلى العلم التجريبي لكي نثبت بالأدلة أن فتوحات هذا العلم جاءت مؤيدة لعقيدة الإسلام في اليوم الأخر وهناك من الظواهر ما يؤكد مجئ هذا اليوم طالت مدة انتظاره أم قصرت وعلى سبيل المثال نذكر الظواهر الأتية :

١-ظاهرة البراكين ٢- ما اتفق عليه العلماء من ضرورة وجود الأثير حيث تسجل فيه الأقوال ولا تنمحي فضلا عن تسجيل الأعمال كلها بالموجات الحرارية الصادرة من الأجسام ويستمر العلم الحديث في خطواته ليؤكد لنا أن جميع أعمالنا التي نباشرها في الضوء أم في الظلام كلها مصورة مسجلة فقد أثبت البحوث أنه يصدر عن كل الموجودات حرارة بصفة دائمة في كلا مكان وفي كل الأحوال وأمكن تصوير الموجات الحرارية بألات تصوير دقيقة

ج-الإنسان أصله ودوره ومصيره / إن الحديث عن الإنسان مستفيض لخصائصه الفريدة وقدراته ومواهبه حتى ليتكاتف عليه الأطباء وعلماء النفس ورجال التربية ورواد الأخلاق وغيرهم فلا يحيطون به علما ومادام الأمر كذلك فيكفينا التنسيق بين بعض الأفكار التي تدور حول هذا الكائن الفذ والحق أن المكتبة الإسلامية ذاخرة بتراث ضخم سنلتقط منها بعض الكلمات التي تصور الإنسان في ناحيتين إحداهما الناحية الميتافيزيقية والثانية الناحية الأخلاقية .

أولا / الجانب الميتافيزيقي (الغيبي) : إن المصدر الوحيد الذي يمدنا بحقائق مؤكدة عن خلق الإنسان ومكانته وغايته هو القران الكريم ولذا عني مفكروا الإسلام باستمداد نظراتهم من القران مباشرة ومثال ذلك ما كتبه ابن تيمية في تفسيره لبعض الآيات القرآنية في هذا المجال مثال قوله تعالى (وجعلنا من الماء كل شئ حي) وعن الموت والبعث يذكر ابن تيمية أنه عند إفناء الإنسان إذا مات وصار ترابا فني وعدم كما يفنى سائر ما على الأرض لقوله تعالى (كل من عليها فان) وينبه الأصفهاني إلى قضية أن الإنسان مركب من بدن محسوس وروح معقول مستندا إلى قوله تعالى (إني خالق بشرا من طين فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين) فالروح هي النفس ويرى أن إضافتها إلى الله تعالى تشريفا لها كذلك يجيبنا عن التساؤلات من الحكمة من خلق الإنسان ومصيره ومكوناته فإن للإنسان عنده ثلاثة أفعال تختص به وهي :

أ-عمارة الأرض في قوله تعالى (واستعمركم فيها) لتحصيل المعاش نفسه ولغيره

ب–الامتثال لله سبحانه وتعالى في عبادته وتنفيذ أوامره واجتناب نواهيه في قوله تعالى (وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون)

ج–وخلافته المذكورة في قوله تعالى (ويستخلفكم في الأرض فينظر كيف تعملون)

ولا يصلح لخلافة الله ولا يكمل لعبادته وعمارة أرضه إلا من كان طاهر النفس ويتم تطهيرها بوسيلتين هما : العلم والعبادات والعبادة كما يعرفها (فعل اختياري مناف للشهوات البدنية تصدر عن نية يراد بها التقرب إلى الله تعالى طاعة للشريعة . أما دورها فهو المحافظة على الفطرة التي خلق بها الإنسان المشار إليها بقوله تعالى (فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله)

ثانيا : الجانب العملي الأخلاقي :

١–الغاية لدى كل إنسان : إذا تقيدنا بالتصور الأخلاقي عند ابن تيمية فإننا نلاحظ ما يراه من حركة الإنسان نحو غاية فتعريفه للإنسان أنه (حي حساس متحرك بالإرادة) فله إرادة دائما أما الغاية فهي تتعدد وتتخذ صورا مختلفة إما المال أو الجاه أو الرئاسة أو محبة الرجل للمرأة والمرأة للرجل وغير ذلك من الأمور المطلوبة للدنيا . والخلق كلهم محتاجون إلى خالقهم لكن يظن أحدهم نوع استغناء فيطغي

كما قال تعالى (كلا إن الإنسان ليطغى ( ) أن رآه استغنى)

٢–الدنيا دار سفر والآخرة دار القرار :

يحتاج الإنسان في سعيه إلى خمسة أشياء :

١–معرفة المعبود المشار إليه بقوله (ففروا إلى الله) ٢ – معرفة الطريق المشار إليه بقوله (قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة)

٣–وتحصيل الزاد المشار إليه بقوله) وتزودوا فإن خير الزاد التقوى) ٤ – المجاهدة

وبهذه الوسائل يأمن الغرور الذي خوفه الله تعالى منه في قوله (ولا يغرنكم بالله الغرور)

ج–الخلوص من العوائق ووسائله : لا يخرج ابن تيمية كثيرا عن هذا الإطار سبقه إليه الأصفهاني إذ يصور لنا الإنسان في حركة مستمرة لكي يتخلص من العوائق التي تحول بينه وبين الوصول إلى غايته ولفظ الوصول لفظ مجمل

لأنه ما من سالك إلا وله غاية وإذا قيل : وصل إلى الله أو إلى توحيده ومعرفته أو نحو ذلك ففي ذلك من الأنواع والدرجات المتباينة ما لا يحصيه إلا الله والإنسان في حاجة إلى التوبة الدائمة أثناء حركته نحو ربه فيصل إلى أفضل ما في الدنيا ولا يتم ذلك إلا بالعبادات المشروعة لأن الإسلام يقوم على أصلين هما :

١-أن يعبد الله وحده ٢-وأن يعبد بما شرع ولا يعبد بالبدع

د-رقي الإنسان الأخلاقي وتحرره من سلطان الشهوات يجعله أفضل المخلوقات : ويوضح لنا ابن تيمية أيضا حركة الإنسان نحو الكمال مفسرا التقدم والأفضلية بالمفهوم الإسلامي حيث يظهر الفضل الكامل لبني أدم في دار القرار تفسيرا لقوله تعالى (والملائكة يدخلون عليهم من كل باب (٢٣) سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار) حينئذ يصل الإنسان إلى مستوى أفضل من الملائكة فلا يظهر الإنسان في ابتداء أحواله وإنما يظهر فضله عند كمال أحواله ويدل ذلك ثبات أحوال الملك الذي يتشابه أول أمره وأخره أم الحرية الحقيقية فهي تحرير هذه الإرادة من سلطان الهوى ونفوذ الشهوات فإن القلب الذي هو ملك الجسم يصبح ذليلا أسيرا إذا كان مستعبدا منتميا لغير الله ولشيخ الإسلام تفسير منفرد للحرية في الإسلام يقول : (وهذا لعمروا الله إذا كان قد استعبد قبله صورة مباحة فأما من استعبد قلبه صورة محرمة فهذا هو العذاب الذي لا يدانيه عذاب وهؤلاء عشاق الصور من أعظم الناس عذابا وأقلهم ثوابا) ثم يقرر أن الحرية حرية القلب والعبودية عبودية القلب كما أن الغنى غنى النفس مستندا إلى الحديث (ليس الغنى عن كثرة العرض وإنما الغنى غنى النفس) وليس هذا كلاما نظريا ولكن يدعمه شيخ الإسلام بحقيقة مؤكدة إذ يستطيع الإنسان بعمله الوصول إلى المستوى الرفيع إذ ظهرت أرقى مراتب الكمال الإنساني في الأنبياء عليهم السلام وفي مقدمتهم نبينا محمد (ص) حيث ظهر فضله على الملائكة ليلة المعراج لما صار لمستوى يسمع فيه صريف الأقلام .

انتهى